نفحات من عبق السيرة النبوية

الدرس الثامن

عناصر المحاضرة:

1. ايذاء قريش لصحابة الرسول ﷺ.
2. فقه حكمة الابتلاء بأذى قريش.
3. الحكمة من الهجرة إلى الحبشة.
4. طلب قريش تسليم الرسول ﷺ.
5. محاولة الطغاة اغتيال الرسول ﷺ.

اليوم نواصل الحديث ونتناول نفحات من عبق السيرة النبوية، ونبدأ بذكر بعض الصور المشرقة، والأمثلة الرائعة، من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ونتعرف كيف استحقوا هذه المكانة العالية، والدرجة الرفيعة في الخيرية والأفضلية، بالنسبة لمجموع الأمة وآحادها.

عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَأَسِّيًا فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا وَأَحْسَنَهَا حَالًا ، قَوْمًا اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ. الجامع في بيان العلم وفضله لابن عبد البر

ووصفهم علي - رضي الله عنه- بقوله" :والله لَقَدْ رَأَيْتُ أَثَرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا أَرَى أَحَدًا يُشْبِهُهُمْ، وَاللَّهِ إِنْ كَانُوا لَيُصْبِحُونَ شُعْثًا غُبْرًا صُفْرًا، بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ مِثْلُ رُكَبِ الْمِعْزَى، قَدْ بَاتُوا يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ أَقْدَامِهِمْ وَجِبَاهِهِمْ، إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ مَادُوا كَمَا تَمِيدُ الشَّجَرَةُ فِي يَوْمِ رِيحٍ، فَانْهَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ وَاللَّهِ ثِيَابَهُمْ، وَاللَّهِ لَكَأَنَّ الْقَوْمَ بَاتُوا غَافِلِينَ ". حلية الأولياء (أبو نعيم الأصبهانى). ولم يكونوا غافلين -رضي الله عنهم-، بل باتوا سجدا لله ركعا وقياما، هكذا وصف

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - إخوانهم من الصحابة، وكتب السيرة مليئة بأخبار القوم، وحسن صفاتهم، وجميل فعالهم، ولا يملك المطلع عليها إلا أن يقول: صدق الله -عز وجل- إذ يقول :(اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) (الأنعام: 124). حقا لقد اختارهم عز وجل لصحبة نبيه -صلى الله عليه وسلم.-

✉ومن الجوانب المضيئة في حياة الصحابة -رضوان الله عليهم-: صبرهم ومصابرتهم في الله -عز وجل-، وتحملهم الأذى، ومكابدتهم الجراح والأمراض، كل ذلك ابتغاءً منهم لمرضاة الله، وطلبا لثوابه، ونصرة لدينه، ولنبيهم محمد -صلى الله عليه وسلم.-

📄ايذاء قريش لصحابة الرسول ﷺ:

وكما أوذي النبي ﷺ في سبيل الله فصبر، فقد أوذي أصحابه رضي الله عنهم كذلك فصبروا، حتى أظهر الله دينه:

📰 وإليكم هذه الصور العظيمة التي تتدفق بالمعاني السامية، قالت عائشة -رضي الله عنها-: "لما اجتمع أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً في أول الإسلام ألح أبو بكر على الرسول -صلى الله عليه وسلم- في الظهور، فقال الرسول: "يا أبا بكر إنّا قليل" فلم يزل يلح حتى ظهر الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وتفرّق المسلمون في نواحي المسجد الحرام، كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر بين الناس خطيباً ورسول الله جالس، وكان رضي الله عنه أول خطيب دعا إلى الله -عزّ وجل- والى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضربوهم ضربا شديدا، ووُطِىءَ أبو بكر، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة، فجعل يضربه بنعلين مخصوفين، وأثّر على وجه أبي بكر حتى لا يعرف أنفه من وجهه، وجاء بنو تيم جماعة أبوبكر -رضي الله عنه- يتعادون، فأجلوا المشركين عن أبي بكر، وحملوا أبا بكر في ثوب، حتى أدخلوه، ولا يشكون في موته، ورجعت بنو تيم فدخلوا المسجد، فقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبه، ورجعوا إلى أبي بكر، فجعل أبو قحافه وبنو تيم يكلمون أبا بكر -رضى الله عنه- حتى أجابهم فتكلم آخر النهار: ما فعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فنالوه بألسنتهم، ثم وكلوا به أمه أم الخير، فما زالت به، قال: والله! لا أذوق طعاماً حتى أنظر ما فعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ثم بعث بها إلى أخت عمر بن الخطاب. فجاءت أم جميل، ودنت من أبي بكر، وقالت" :إن قوما نالوا

هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجوا أن ينتقم الله منهم "فقال" :ما فعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم "-قالت: هذه أمك تسمع، ولم تكن أمه أسلمت بعد، قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالم صحيح، فقال: أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم، قال: فإن لله علي ألا أذوق طعاما، أو شرابا، أو آتي رسول الله -صلى الله عليه وسلم.- فلما هدأ الناس خرجتا به يتكأ عليهما، حتى أدخلتاه على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقبله، وأكب عليه المسلمون، ورق له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رقة شديدة، فقال أبوبكر -رضي الله عنه" :-يا رسول الله ليس بي بأس."

✉وليست هذه القصة في الصبر، ليست بالوحيدة، ولا الفريدة في حياة أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقد أخرج الإمام أحمد عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال" :أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر وبلال وخباب وصهيب وعمار وسمية أم عمار."

فأما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسوهم أدرع الحديد، وصهروهم في الشمس.

📃أما بلال بن رباح رضي الله عنه: فقد نال من العذاب ما لم ينله غيره؛ لأنه كان من الموالي، فكان أمية بن خلف يضع في رقبته حبلا، ثم يسلمه إلى الصبيان يطوفون به جبال مكة، وكان يخرجه إذا حميت الظهيرة إلى بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ويقول له: لا تزال كذلك حتى تموت أو تكفر بمحمد، فلا يزيد على قوله: أحدٌ ، أحدٌ، حتى مر به أبو بكر فاشتراه فأعتقه لوجه الله.

📃وكان عمار بن ياسر رضي الله عنهما مولى لبني مخزوم، فأسلم هو وأبوه وأمه، فكان المشركون يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الظهيرة فيعذبونهم بحرها.

⇦ومر النبي ﷺ بآل ياسر وهم يعذبون فقال: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الجَنَّةُ» أخرجه الحاكم. فمات ياسر في العذاب، وطَعن أبو جهل زوجته سمية في قُبلها بحربة فقتلها، فكانت أول شهيدة في الإسلام.

📃 وكان خباب بن الأرت رضي الله عنه: يذيقه المشركون أنواع العذاب، وكانوا يضعون على صدره الحجارة، ويضعونه على الجمر، فلا يطفئ الجمر إلا ودك ظهره.

📃ومصعب بن عمير رضي الله عنه أول سُفراء الإسلام: كان مشتهرًا بجماله، وارتدائه أفضل الملابس وأغلاها، وتعطره بأجمل العطور؛ حيث كان معروفًا بأنه أعطر أهل مكة، لما علمت أمه

بإسلامه أخرجته من منزله، وكان فتىً منعَّماً في بيت ثراء، فأصبح لا يجد ما يسد جوعه، ولقد عانى معاناة شديدة وهو يعذب، يقول عنه سعد بن أبي وقاص: "وأما مصعب بن عمير فإنه كان أترف غلام بمكة بين أبويه فيما بيننا، فلما أصابه ما أصابنا من شظف العيش، لم يقو على ذلك، فلقد رأيته وإن جلده ليتطاير عنه تطاير جلد الحية.

⇦إنه مصعب الخير (كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال عنه النبي حينما دخل عليه مصعب ذات يوم في المسجد: "انظروا إلى هذا الذي قد نور الله قلبه، لقد رأيته بين أبويه يغذيانه بأطايب الطعام والشراب، ولقد رأيت عليه حلة شراها أو شريت له بمائتي درهم، فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون".

▤وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أول من جهر بالقرآن في المسجد الحرام فضربوه ضرباً أثر في وجهه.

(وقد اجتمع المسلمون ذات يوم فقالوا: لم تسمع قريش أحداً يجهر بالقرآن، فمن يفعل ذلك؛ فقال عبد الله بن مسعود: أنا أفعل، فقال الصحابة: نخاف عليك منهم، نريد رجلاً له عشيرة حتى يمنعوهم إن أرادوا إيذاءه؛ فقال -رضي الله عنه-: الله يمنعهم عنّي، وفي الضحى من اليوم التالي، كان مشركوا قريش عند الكعبة؛ فجاء عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- حتّى وصل المقام، وبدأ يرفع صوته ويقرأ سورة الرحمن واسترسل بها؛ فبدأ أهل قريش يتساءلون فيما بينهم عمّا يقرؤه؛ فلمّا أدركوا أنّه يقرأ القرآن؛ أقبلوا عليه وبدأوا يضربونه، ولمّا انتهوا رجع عبد الله -رضي الله عنه- إلى أصحابه وقد بان الضرب على وجهه).

▤وكان عم عثمان بن عفان رضي الله عنه يلفه في حصير من ورق النخيل ثم يدخنه من تحته.

▤وكان عم الزبير رضي الله عنه يعلقه في حصير، ويدخن عليه بالنار ليرجع إلى الكفر، فيقول: لا أكفر أبدًا.

▤كَانَ صُهَيْبٌ رضي الله عنه يُعَذَّبُ، وكان ممن أُلْبسوا أَدْرَاعَ الحَدِيْدِ، وَصهروا فِي الشَّمْسِ.

▤وكانت زنيرة الرومية رضي الله عنها كانت من السابقات إلى الإسلام، أسلمت في أول الإسلام، وعذبها المشركون. قيل: كانت مولاة بني مخزوم، فكان أبو جهل يعذبها. وقيل: كانت مولاة بني عَبْد الدار، فلما أسلمت عَمِيت، فقال المشركون: أعمتها اللات والعزى لكفرها بهما! فقالت: وما يدري اللات

والعزى من يعَبْدهما، إنما هذا من السماء، وربي قادر على رد بصري، فأصبحت من الغد ورد الله بصرها، فقالت قريش: هذا من سحر مُحَمَّد. ولما رأى أبو بكر رضي الله عنه ما ينالها من العذاب، اشتراها فأعتقها، وهي أحد السبعة الذين أعتقهم أبو بكر. أسد الغابة في معرفة الصحابة.

▤وكان أبو فُكَيْهَةَ ـ واسمة أفلح ـ مولى لبني عبد الدار، وكان من الأزد. فكانوا يخرجونه في نصف النهار في حر شديد، وفي رجليه قيد من حديد، فيجردونه من الثياب، ويبطحونه في

الرمضاء، ثم يضعون على ظهره صخرة حتى لا يتحرك، فكان يبقى كذلك حتى لا يعقل، فلم يزل يعذب كذلك حتى هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وكانوا مرة قد ربطوا رجله بحبل، ثم جروه وألقوه في الرمضاء وخنقوه حتى ظنوا أنه قد مات، فمر به أبو بكر فاشتراه وأعتقه لله.

وكان من المستضعفين الذين يعذبهم كفار قريش عامر بن فهيرة، وحمامة أم بلال، وأبا فكيهة، والنهدية، وصهيب الرومي، وغيرهم رضي الله عنهم.

وكان من المعذبين من أهل مكة: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وسعيد بن زيد، وخالد بن سعيد بن العاص، وغيرهم رضي الله عنهم.

إن قريشاً لما عجزت أن تقف للدعوة الإسلامية، وأيست من طاعة الرسول ﷺ لها، اجتمع رؤساؤهم وقرروا اللجوء إلى العنف والقوة في محاربة الإسلام والمسلمين، فأصدروا أوامرهم إلى القبائل ليصبوا العذاب والأذى على كل من تابع محمداً ﷺ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم، ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر: (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (8) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (9) [البروج/٨-٩].

فكانت فتنة كبرى على من آمن، وفُتن فيها من فُتن، وعصم الله من عصم، ومنع الله رسوله ﷺ بعمه أبي طالب، لأنه كان شريفاً في قومه:{ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ} [البروج/١٠].

فقه حكمة الابتلاء بأذى قريش:

وكان من أعظم المجاهرين بالظلم لرسول الله ﷺ؛ ولمن آمن به، صناديد قريش، ومن أشدهم وأشهرهم: أبو لهب، وأبو جهل، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، والحكم بن أبي العاص، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، والحكم بن أبي العاص، وعقبة بن أبي معيط، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وأمية بن خلف، وأُبي بن خلف، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، وغيرهم.

عَنْ أبي مسعود رضي الله عنه قَالَ : أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ : رَسُولُ الله ﷺ ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعَمَّارٌ ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ الله ﷺ فَمَنَعَهُ الله بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ،وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ الله بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمْ المُشْرِكُونَ، فَالبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الحَدِيدِ ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ ، فَمَا مِنْهُمْ إِنْسَانٌ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا إِلَّا بِلَالٌ ، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي الله ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ ، فَأَعْطَوْهُ الوِلْدَانَ ، وَأَخَذُوا يَطُوفُونَ بِهِ شِعَابَ مَكَّةَ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَحَدٌ ، أَحَدٌ.) أخرجه أحمد وابن ماجه.

والله سبحانه وتعالى قادر على حماية الرسول ﷺ وأصحابه، ومنع المشركين من إصابتهم بأذى، ولكن بإصابتهم بما أصابهم من الكفار يتحقق عدة مصالح:

منها: رفعة درجاتهم، وزيادة حسناتهم، وحط سيئاتهم.

ومنها: أن ما أصابهم يوضح لمن بعدهم كيفية مواجهة الإيذاء البدني والمعنوي،

وأن المؤمن يُصاب ويُؤذى، فمتى عرف ذلك عمن سبقه صبر، وهان عليه تحمل الأذى في سبيل الله تعالى:

(الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (4) [العنكبوت/١-٤].

وهذه الابتلاءات العظيمة، والشدائد المؤلمة، أثمرت ما يحبه الله ورسوله، وما يريده الله تعالى ورسوله ﷺ.

فقد تبين بها الطيب من الخبيث، والصادق في إيمانه من الكاذب، ولهذا لم يظهر في مكة منافقون أبداً،أما في المدينة لما ذهب الإيذاء البدني كثُر المنافقون، ودخل في الإسلام من يكيد له.

وإيذاء الكفار لمن آمن بمكة حقق عكس مرادهم، فقد جعل الإسلام ينتشر، وجعل الصحابة يهاجرون إلى الحبشة، وإلى بقاع الأرض فراراً بدينهم، ومن ذلك قصة الطفيل بن عمرو الدوسي، فقد أسلم بسبب كثرة تشويه كفار قريش لهذا الدين.

وفي إيذاء هؤلاء الكفار للمؤمنين حكمة أدت إلى تعاطف بعض الكفار مع المؤمنين، ومناصرته لهم، وإسلامه، كما حصل من حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ، لمَّا علم بإيذاء أبي جهل لمحمد ﷺ، فدخل المسجد الحرام، وضربه على رأسه، ثم قال: أتشتمه؟ فأنا على دينه، أقول ما يقول، فرُدَّ ذلك عليَّ إن استطعت؟

وكذا عمر بن الخطاب رضي الله، كان سبب إسلامه أنه ضرب زوج أخته فاطمة، وضربها لما منعته، فندم واستحيا، ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ، في دار الأرقم، وأسلم.

وحين كثر الداخلون في الإسلام كان لابد من مكان يجتمع فيه المسلمون مع الرسول ﷺ، ليعلمهم أمور دينهم، فاختار لهم الرسول ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، وكانت على جبل الصفا، وبابها خلفي يدخله الداخل فلا يُرى، وقد اتخذها الرسول ﷺ مقراً للدعوة في السنة الخامسة من البعثة، وفي هذا تكوين للبيئة الصالحة، والصحبة الطيبة التي تُذكِّر الإنسان إذا نسي، وتعلمه إذا جهل، وتنبهه إذا غفل، ولتكون مقراً للتواصل بين المسلمين، وتعهد الرسول ﷺ لمن آمن به يوماً بعد يوم: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28)) [الكهف/٢٨] .

ولما طال العذاب على المستضعفين من المسلمين ذهب خباب بن الأرت رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ يستنجد به من هذا العذاب، فيضرب الرسول ﷺ لهم الأمثال، فيرجعون راضين مطمئنين صابرين على البلاء.

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رضي الله عنه قَالَ: شَكَوْنَا إلى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو الله لَنَا؟ قَالَ:« كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، واللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ لَايَخَافُ إِلَّا الله أو الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».أخرجه البخاري.

الحكمة من الهجرة إلى الحبشة:

لما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء والعذاب، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: «إِنَّ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ مَلِكًا لا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ، فَالحَقُوا بِبِلادِهِ، حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ» أخرجه البيهقي في السنن الكبرى.

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام.

وكان فيمن هاجر: عثمان بن عفان رضي الله عنه، وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وامرأته أم سلمة، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة، وامرأته ليلى بنت أبي حثمة، رضي الله عنهم أجمعين.

فخرجوا حتى أتوا الشعيبة، مرفأ للسفن على البحر، منهم الراكب، ومنهم الماشي، ويسر الله تعالى لهم ساعة وصلوا سفينتين لتجار حملوهم فيهما إلى الحبشة .

وكان عددهم خمسة عشر نفراً: أحد عشر رجلا، وأربع نسوة، وكان خروجهم في رجب من السنة الخامسة من البعثة، ولما وصلوا إلى الحبشة وجدوا فيها خير جار، وأمنوا على دينهم، وعبدوا الله، لا يؤذيهم أحد، ولا يسمعون شيئاً يكرهونه.

ولكن لم يطل بهم المقام في الحبشة، فقد عادوا إلى مكة بعد رمضان من تلك السنة.

الهجرة الثانية إلى الحبشة:

لما رجع المهاجرون من الحبشة إلى مكة، اشتد أذى الكفار عليهم، فأشار الرسول ﷺ على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرة ثانية، فهاجروا قرابة ثلاثة وثمانين رجلا، وثماني عشرة امرأة.

ولما علمت قريش بهؤلاء بعثت رجلين من أصلب رجالها وأذكاهم، وهم :عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة، وأرسلوا معهم الهدايا المستطرفة إلى النجاشي وبطارقته.

وجاء الرجلان إلى الحبشة، وقدما رشوتهما إلى البطارقة، ليكونوا عوناً لهما في إقناع النجاشي، ليطرد هؤلاء المسلمين من بلاده.

ولكن النجاشي لم يتعجل في إعطاء الرأي، وطلب أن يحضر بين يديه جميع أطراف القضية .

فلما حضروا قَدَّم الرجلان الهدايا لملك الحبشة، وحضر المسلمون، واختاروا جعفر بن أبي طالب أن يكون المتحدث عنهم.

🖐فقال النجاشي لهم: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم؟ ولم تدخلوا به في ديني؟ فقال جعفر رضي الله عنه :أيها الملك! كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ... إلخ.ثم استمر الحوار بين النجاشي والصحابة رضي الله عنهم حتى انتهى بفشل مكيدة كفار قريش، ورجوعهم خاسرين، وبقاء المسلمين في الحبشة آمنين مطمئنين.

✉وقد ابتلى الله تعالى الصحابة بهذه الهجرة، لينظر هل يتركون البلد والأهل والمال من أجل الدين، أو يتركون الدين من أجل البلد والأهل والمال، فاختاروا الهجرة في سبيل الله من أجل الدين، وهاجروا في سبيل الله إلى الحبشة فارين بدينهم.

✉وأحدثت هجرة الحبشة هزة كبيرة في المجتمع المكي المشرك؛ لأنها شملت أفراداً من البيوت القرشية الكبيرة.

وقد مكث مهاجروا الحبشة ما شاء الله، ثم عاد بعضهم بعد هجرة المدينة، وقبل غزوة بدر الكبرى، وكانوا ثلاثة وثلاثين رجلاً وثمان نساء، وعاد الباقون مع جعفر بن أبي طالب بعد فتح خيبر في العام السابع الهجري، وفي هذا العام توفي النجاشي بعد أن أكرمه الله بالإسلام، فصلى عليه رسول الله ﷺ صلاة الغائب. متفق عليه.

📃يقين الباطل بنصر الحق:

أيقنت قريش أن بطشها بالمسلمين المستضعفين وغيرهم لم يصرف الناس عن الإسلام، ورأت أن طرق الاستهزاء والسخرية بمحمد ﷺ وأصحابه لم تفلح في الصد عن سبيل الله، فلجأت قريش إلى أسلوب المفاوضات مرة أخرى .فذهب أشراف قريش إلى أبي طالب مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سناً وشرفاً، ومنزلة فينا، وإن ابن أخيك يؤذينا في نادينا وفي مجلسنا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الطرفين.

فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ ولا خذلانه، فبعث إلى رسول الله ﷺ، فلما جاء إليه قال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاؤني، فزعموا أنك تؤذيهم في ناديهم وفي مجلسهم فانته عن ذلك، وأبق عليَّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر مالا أطيق.

فحلّق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء، فقال: «مَا تَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ»؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِأَقْدَرَ عَلَى أَنْ أَدَعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَى أَنْ تُشْعِلُوا مِنْهَا شُعلَةً»، فَقَالَ أَبُوطَالِبٍ: مَا كَذَّبْنَا ابْنَ أَخِي قَطُّ فَارْجِعُوا. أخرجه الحاكم

ثم أطلق أبو طالب قصيدته المشهورة في نصرة الرسول ﷺ، فقال:

وَاللهِ لَن يَصِلوا إِلَيكَ بِجَمعِهِم ... حَتّى أُوَسَّدَ في التُرابِ دَفينا

فَاِصدَع بِأَمرِكَ ما عَلَيكَ غَضاضَةٌ ... وَاِبشِر بِذاكَ وَقَرَّ مِنهُ عُيونا

وَدَعَوتَني وَزَعَمتَ أَنَّكَ ناصِحٌ ... وَلَقَد صَدَقتَ وَكُنتَ ثَمَّ أَمينا

وَعَرَضتَ ديناً قَد عَلِمتُ بِأَنَّهُ ... مِن خَيرِ أَديانِ البَرِيَّةِ دينا

لَولا المَلامَةُ أَو حِذاري سُبَّةً ... لَوَجَدتَني سَمحاً بِذاكَ مُبينا

طلب قريش تسليم الرسول ﷺ:

لما رأت قريش أن رسول الله ﷺ ماض في دعوته، وأن أبا طالب قد أبى خذلان ابن أخيه وإسلامه، وإصراره على حمايته، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له: يا أبا طالب، قد جئناك بفتى قريش جمالا، ونسبا، وشهامة وشعرا، فخذه، فلك نصره وعقله وميراثه، واتخذه ولدا، وأسلم إلينا ابن أخيك، هذا الذي خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فنقتله.

فقال أبو طالب: والله ما أنصفتموني !أتعطوني ابنكم أكفله لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله لا يكون أبدا. فقال المطعم بن عدي: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد تقبل منهم شيئاً .فقال أبو طالب: والله ما أنصفتموني، ولكنك قد أجمعت خذلاني، والمظاهرة عليّ، فاصنع ما بدا لك .ولما رأى أبو طالب ما تصنع قريش بالمسلمين دعا بني هاشم، وبني المطلب إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ، والقيام دونه، فاجتمعوا إليه، وقاموا معه، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه إلا ما كان من عمه أبي لهب فبقي على عداوته.

محاولة الطغاة اغتيال الرسول ﷺ:

بعد فشل مفاوضات قريش مع أبي طالب اشتد مكر زعمائها،وأجمعوا على قتل النبي ﷺ،فلما كان مساء الليلة التي عرضوا فيها عمارة بن الوليد على أبي طالب فُقد رسول الله ﷺ،فلم يُعلم أين مكانه. وجاء أبوطالب وعمومته فلم يجدوه في منزله، فجاء زيد بن حارثة رضي الله عنه فوجد أبا طالب مهموماً، فأخبره أن الرسول ﷺ في دار الأرقم، ومعه أصحابه يتحدثون، ولما علم رسول الله ﷺ بحال عمه أبي طالب ذهب إليه، فقال: يا ابن أخي أين كنت؟ أكنت في خير؟ فقال: نعم، فقال أبو طالب: أدخل بيتك، فدخل رسول الله ﷺ بيته، فلما أصبح أبو طالب غدا مع النبي ﷺ فأخذه بيده فوقف به على أندية قريش، ومعه فتيان بني هاشم، وفتيان بني المطلب.فقال: يا معشر قريش!

هل تدرون ما هممت به؟ فقالوا: لا! فأخبرهم الخبر، وقال للفتيان: اكشفوا عما في أيديكم، فكشفوا، فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة. فقال: والله لو قتلتموه ما بقي منكم أحد حتى نتفانى نحن وأنتم، فانكسر القوم، وكان أشدهم انكساراً أبو جهل لعنه الله.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أُنَاسًا من بني مَـخْزُوم تواصوا بِالنَّبِيِّ ﷺ ليقتلوه، مِنْهُم أَبُو جهل والوليد بن مُغيرَة، فَبينا النَّبِي ﷺ قَائِم يُصَلِّي سمعُوا قِرَاءَته فأرسلوا إليه الوَلِيد ليَقْتُلهُ، فَانْطَلق حَتَّى أَتَى المَكَان الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ، فَجعل يسمع قِرَاءَته وَلَا يرَاهُ، فَانْصَرف إليهم فأعلمهم بذلك فَأتوهُ، فَلَمَّا انْتَهوا إلى المَكَان الَّذِي هُوَ يُصَلِّي فِيهِ سمعُوا قِرَاءَته، فيذهبون إلى الصَّوْت فَإِذا الصَّوْت من خَلفهم، فيذهبون إليه فيسمعونه أَيْضاً من خَلفهم، فانصرفوا وَلم يَجدوا إِلَيْهِ سَبِيلاً، فَذَلِك قَوْله: {وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} أخرجه البيهقي في دلائل النبوة.

ولم تزل فكرة اغتيال النبي ﷺ ترقد وتزداد في قلوب المشركين يوماً بعد يوم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة طويلة جرت بين المشركين وبين النبي ﷺ... فلما قام عنهم ﷺ قال أبو جهل: يا معشر قريش، إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا، وسب آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر، فإذا سجد فضخت به رأسه، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم. فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً وجلس،وأتى النبي ﷺ فقام يصلي بين الركنين الأسود واليماني، وكان يصلي إلى الشام، وجلست قريش في أنديتها ينظرون، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع مرعوباً منتقعاً لونه، قد يبست يداه على حَجَره، حتى قذف به من يده، وقامت إليه رجال قريش فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ فقال: قمت إليه لأفعل ما قلت لكم فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فهَمَّ أن يأكلني...

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ أَبُوجَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُـحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ : نَعَمْ. فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ قَالَ : فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ ، قَالَ : فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ، وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ : فَقِيلَ لَهُ : مَا لَكَ ؟فَقَالَ : إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَـخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:«لَوْدَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ المَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا» . أخرجه مسلم.

المراجع:

❶السيرة النبوية بين المعرفة والواجب في ضـــــوء القــرآن والســـنة، -جامعة الفقه الإسلامي العالمية في ضوء القرآن والسنة-.

❷الموسوعة التاريخية: الدرر السنية.

❸طريق الإسلام.